خطبة صلاة الجمعة 24/ 1/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(قلة ذات اليد)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1]، قال ابن كثير: يهدي إلى الرشد أي يهدي إلى السداد والنجاح.

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، قال المفسرون: معنى قوله: هيئ لنا من أمرنا رشداً: يَسِّر لنا طريقاً سديداً للخير وللحق، والرَشَد والرُشْد هو الاهتداء لطريق الحق.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فإنه لا يضرُّ إلا نفسَه، ولا يضرُّ الله شيئا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة **(دليل إرشادي)**، تتناول كلُّ خطبةٍ منها مشكلةً اجتماعيةً أسريةً أو ماليةً أو أخلاقيةً وقع فيها عدد منا، وهو مهتم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتقدم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى تعينه على تبصر طرق الحل، وتمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالبَ جاهزة تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة؛ لكنها قواعدُ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم: (قلة ذات اليد)

المسألة:

في زحمة الغلاء الذي نعيش أجد مشقة شديدة في سداد احتياجات الأسرة، واردي الشهري مئة وخمسون ألف ليرة سورية، وعندي أربعة من الولد، ثلاثة منهم في المدرسة ورابعهم صغير.

أفكر في أن أرسل ولدي الكبير ذا السادسة عشر ربيعاً إلى العمل، ولو أدى ذلك إلى تأخره الدراسي وربما لا يستطيع العود للدراسة ثانية.

يؤلمني ذلك، ولكني لا أجد بديلاً، فأرشدوني؟!.

الدليل الإرشادي:

في الدليل ثلاث فقرات: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، فرص للعمل داخل المنزل، تسرب الأولاد المدرسي ضار عاجلاً وآجلاً.

أولاً: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب:

قال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب.

يريد: تتحرك جوارحك في الأسباب فلا تسكن، ويسكن قلبك لتقدير ربك فلا يضطرب.

في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة يصحبه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم أكمل العدد، وأخذ بالأسباب الأرضية جميعها، فعمّى عن القوم مسيره، وتوارى عن أعينهم في غار ثور ثلاثة أيام حتى هدأ الطلب، وأوصى عبد الله بن أبي بكر أن يأتيه بأخبار القوم كل يوم، وعامر بن فهيرة أن يرعى عليهما بالغنم ويطمس أثار المسير وراءهما، إنه اضطراب للجوارح بلا سكون.

فلما انتهت قريش إلى فم الغار وقال أبو بكر: يا رسول الله! لو أنّ أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرَنا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما، قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا».

إنه سكون بلا اضطراب!.

تأخذ بالأسباب وكأنها كلُّ شيء، ويتعلق قلبك بربك وكأنها لا شيء. فإذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتّوكّل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

مطلوب مني ومنك أن نعمل ما استطعنا، ولكن تيقن بأنّ الكافي هو الله وليطمئن قلبك بأن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقَها.

جاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال وقلة المال، فقال: ارجع إلى بيتك، فمن ليس رزقه على الله تعالى، فاطرده عنك.

قال ابن الأثير: في اسم الله تعالى «الوكيل» هو القيّم الكفيل بأرزاق العباد، فالعبد آخذٌ بأسباب السَّلامة والسَّعادة بجوارحه، منخلعٌ عن الحول والقوَّة بجنانه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

ثانياً: فرص للعمل داخل المنزل:

من مظاهر تعاون الأسرة لتخفيف وطأة الأزمة مشاركة أفراد إضافيين في العمل، فمن الممكن أن يعمل من داخل المنزل بالإضافة للأب سائر أفراد الأسرة بما يتناسب مع طبيعة كلٍّ منهم وبرنامجِه العملي والحياتي.

ويعتبر العمل من المنزل في السنوات الأخيرة في عدد من الدول من الأعمال المهمة جداً والتي يحقق الكثيرون عن طريقها الكثير من الأرباح وليس مجردَ أموالٍ تساعد على زيادة الدخل، ويوجد الكثيرون أيضاً ممن تركوا وظائفهم واتجهوا إلى العمل المنزلي لما يمتلكه من مميزات مثل: الحرية، المرونة، قلة التكاليف، الوجود في المنزل، كثرة الأرباح، وغيرها من المميزات.

وقد جمعتُ لكم مجموعة أعمال منزلية تدرّ على الأسرة دخلاً مضافاً لدخل الزوج، بإمكان الزوجة أو الأبناء الذكور أو الإناث القيام بها من داخل المنزل بعد انتهائهم من واجباتهم المدرسية أو المنزلية:

– الأشغال اليدوية: صناعة الأشغال اليدوية والأعمال الفنية التي تفيد المنزل والأطفال وتسويقها على مواقع البيع الالكتروني وصفحات التواصل الاجتماعي.

– التصميم: تعلم بعض برامج التصاميم مثل الفوتوشوب وغيره، ثم صناعة تصاميم متقنة، ثم عرض هذه الأعمال على الانترنت في مواقع خاصة وتسويقها إلى الشركات والأفراد.

– الدروس الخصوصية: إعطاء الدروس الخصوصية، وجلسات المتابعة الدراسية، والجلسات الامتحانية، لمن هم دونك في المراحل التعليمية.

– الجوال: تنزيل تطبيقات الجوالات لقاء أجرة، والتدرب على إصلاح ما يسمى السوفت وير فيها.

– التسويق: تسويق منتج لشركة أو لأفراد عبر مواقع التواصل ومواقع الإعلان، مقابل حصولك على عمولة على كل مرة بيع.

– البيع: بيع الملابس أو منتجات الاكسسوارات أو لعب الأطفال عبر النت، وذلك بفتح صفحة على الفيس بوك لنشر المنتجات ومواصفاتها، والتواصل مع الراغبين بشرائها، ثم شراؤها عند تأمين الزبون، وبيعها له بسعر أعلى، والفارق بين سعر الشراء والبيع يكون ربحا لك.

يقول أحد طلاب الجامعة: كنت أبيع الملابس والاكسسوارات أونلاين من دون الحاجة إلى محل، كنت أزور متاجر في أسواق الجملة وأسألهم عن أسعار بضائعهم، وألتقط لها صوراً جميلة، ثم أعرضها على صفحتي، فإذا ما سأل زبون عن إحداها أضفت على سعر محل الجملة ربحا معقولاً، فإذا ما أعجبته وقرر شراءها، ذهبت واشتريتها من مالي الخاص من محل الجملة ثم ذهبت لعنوان الزبون لأبيعها له. وبعته إياها، وربما بعت أصدقائي في الجامعة وفي الحي، كانت تأتيني طلبات كثيرة وربحت من هذا العمل مبالغ مشجعة.

– العطور: شراء عبوات العطور الكبيرة وتعبئتها بعبوات صغيرة وبيعها للأفراد أو المحلات.

– الحضانة منزلية: فيمكن للنساء اللواتي يجدن في أنفسهن الأهليّة لذلك الاتفاق مع بعض النساء العاملات في الحي الذي تسكن فيه على رعاية أطفالهنّ أثناء فترة غيابهن، وذلك بمقابل مادي مناسب.

– الطهي: يمكن لكل سيدة تجد نفسها قادرة على طهي طعام مميّز التسويق لنفسها من خلال عمل أطعمة مختلفة للنساء اللواتي لا يجدن الوقت لطهي الطعام خاصة في المناسبات والعزائم العائليّة، أو للشركات المحلات التي تقدم طعاماً لعمالها، مقابل أجر معيّن.

– تصفيف الشعر: فالمرأة المتقنة لتصفيف الشعر يمكنها ممارسة ذلك للنساء بالأجرة داخل منزلها أو داخل منزل الزبونة.

– خياطة الملابس والمفارش في المنزل يدوياً وتوشيتها بمواد الزينة، لقاء أجر مادي جزيل.

– تنضيد الأبحاث والكتب: للطلاب والمؤلفين.

– التسجيل الصوتي لبعض الكتب لصالح المكفوفين.

- الترجمة المأجورة لمن يتقن لغة أجنبية لصالح الشركات والأفراد.

- تحضير مواد المونة، وبيعها للعائلات الميسورة.

فكل هذه الأعمال - أيها الإخوة - ولها نظائر وأشباه يمكن لجميع أفراد الأسرة العمل بها في أوقات فراغهم وبعد أداء واجباتهم المدرسية والحياتية، وهي تدرّ دخلاً إضافياً على المنزل يساند ويساعد في الأزمات والملمات، بل ويعين في الأوقات كلها.

ثالثاً: تسرب الأولاد المدرسي ضار عاجلاً وآجلاً:

ليس من مصلحة الأسرة ولا المجتمع توقف الأولاد الناجحين دراسياً عن الدراسة، فتسربهم إلى العمل صحيح أنه يكسب الأسرة مبالغ مالية إضافية آنية ويختصر لصالحها نفقات دراستهم وتعليمهم، لكنه يبقيهم غالباً في رتب وظيفية بسيطة، فيضعف بذلك البنية الاقتصادية للأسرة، ويعرضهم للاختلاط بشرائح مباينة لهم عمرياً وأخلاقياً وتربوياً، الأمر الذي يُخشى معه على أخلاقهم وسلوكهم.

وتظهر نتائج التسرّب المدرسي على المجتمع عندما تزيد أعداد الطلاب المتسربين، فينتشر الجهل بين أفراده، ويفتقد إلى الكثير من الأعمال والتَّخصصات التي لا يُمكن تأديتها إلّا بوجود الدّراسة المتخصصة والمتعمِّقة، وتزيد تكلفة التعليم فيه.

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وشبهِهِ من الآباء: إنّ لك في كل لقمة ترفعها إلى فمِ أهلك وأولادك صدقةً، وإن أعظمَ دينار تنفقه دينارٌ تنفقه على نفسك وأهلك فطب بذلك نفساً، واعلم بأن الرزق يطلبك كما تطلبه، وإنّ من الذنوب ذنوباً يكفرها همّ العيال، فاحمد الله على ما كان، وتوكل عليه فهو حسبك وهو خير الرازقين.

ثم تجنب إخراج أبنائك الناجحين دراسياً من الدراسة، ولكن يمكنهم المساعدة مع والدتهم بأعمال منزلية ربحية، تدرّ دخلاً إضافياً على الأسرة. والله أعلم.

ختاماً – أيها الإخوة:

أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

والحمد لله رب العالمين